قصة تقدم الإجابة ببساطة «حينما طـــــــارت الكلمـــــــات».. كيف يساعد الأطفال كبار السن على التذكر؟

القصة من تأليف: دانييل سيمرد
قراءة تحليلية: عبد اللّه مرشدي

هـل يسـتطيع النـص الأدبـي أن يكـون ممتعًا ومشـوقًا حين يتناول حقيقة علمية أو يعالج مشـكلة أسـرية واقعية؟ هذا ما سـوف نجيب عنه في قـراءة تحليلية لقصة «حينمـا طارت الكلمات» مـن تأليف دانييل سـيمرد، رسـوم جينيفيف كوتـي، وترجمة سـلمى محمد سعد.

أنصتوا لكبار السن ولا توجهوا إليهم كلمات جارحة

يجب خلق بيئة هادئة لهم وإبعادهم عن التوتر

عندما يبحثون عن كلمات معينة

اقترحوا عليهم كلمات أو أعطوهم

ورقة وقلماً ليكتبوها

علموا أطفالكم إيجاد حلول

لمشكلاتهم وليس التذمر منها

يأخذنا النص إلى طرح المشكلة مباشرة؛ وهي مشكلة حدثت داخل محيط الأسرة..تقول القصة: (حينما تحول لون شعر جدتي إلى اللون الفضي، وتساقطت أسنانها حتى صار فمها بلا أسنان؛ بدأت حين تتكلم تضيع منها الكلمات. صارت جدتي تنسى الأسماء).. هنا تضعك القصة أمام المشكلة مباشرةً، ولم تقل عندما كبرت جدتي لكن ببراعة عبرت عن كبر سن الجدة بكلمات ومشاهدات يراها الطفل، فهو لا يعي موضوع كِبر السن، لكن يري المشاهدات التي طرأت على جدته، من تحول لون شعر الجدة إلى اللون الفضي، ويرى أيضًا أن فمها أصبح من دون أسنان. ثم تبدأ المشكلة في التصاعد، فتقول: (لم تعد جدتي تنسى الأسماء فقط، لكنها أصبحت أيضًا تنسى أين وضعت مفاتيحها)، وتقدم القصة حلولًا بسيطة تستطيع أن تقوم بها البنت الصغيرة؛ وهي أن تبحث لها عن مفاتيحها تحت «الفوتيه»، وفي روعة وطفولة تبدأ القصة تحريك عالم الطفولة، فتجعل القطة تبحث عن المفاتيح في المزهرية (وتبحث قطتي المشمشية في المزهرية، وأحياناً كنت أبحث في خزانة الملابس، وكنت دائماً أجدها) .

مشكلات أخرى

لكن هناك مشكلات حتما أخرى تتعرض لها الجدة؛ وهي ضياع الكلمات ونسيان الأسماء، وهذا ما سوف تقدم له القصة من حلول (المشكلة أن جدتي تتضايق حين تضيع منها الكلمات خصوصًا أسماء الأشياء التي تريدها، لذلك قررنا أن نساعدها على البحث عن تلك الكلمات).. هنا بداية جميلة؛ وهي التفكير في حل بالبحث عن الكلمات الضائعة من فوق لسان الجدة حين تتكلم.. تقول القصة: (عندما تتلعثم جدتي بحثًا عن الكلمة التي ضاعت منها نسرع أنا وأمي لنبحث لها عن تلك الكلمة الضائعة، فحين تبحث في حقيبتها وتقول لا أستطيع أن أجد... لا أستطيع أن أجد، نعرف أنها تبحث عن مفاتيحها، فنقول لها: مفاتيحك؟ فتبتسم، وتقول: نعم. كنا دائماً نجد الكلمة التي ضاعت من جدتي).

وهنا مشهد رائع للبنت وأمها في إيجاد حلول للجدة لإسعادها وردّ الجميل لها، وكذلك مشهد جميل للأم القدوة، المعلمة التي تعلم ابنتها إيجاد حلول للمشكلات التي تحدث داخل الأسرة. وهذا من الجانب التربوي رائع وجميل؛ أن نربي الأطفال على ضرورة وجود الحلول للمشكلات التي تقابلهم، وليس التذمر منها.

ثم تقدم القصة مشهدًا آخر؛ وهو وجود الجدة في أحد المتاجر ونسيانها الشيء الذي تريد أن تشتريه، فتقول الجدة: أريد أن أشتري.... أريد أن أشتري ..... وتحاول توضيح ما تريد أن تشتريه عن طريق لف يدها في الهواء عدة مرات، فتأخذها البنت في جولة في المتجر وتفكر فيما تريده جدتها حتى تعرف أنها مناديل للحمام.

ثـم تعود القصة وتأخذنـا إلى ملمح جميـل؛ وهـو تذكـر البنـت للأيام الجميلـة التـي كانت جدتهـا تحكي لهـا الحكايـات، وكانـت لا تنسى الأسـماء ولا يضيـع منهـا حـرف واحـد، لتؤكد القصـة أن ذلك حدث بسـبب التقدم في السـن ولم يكن مشكلة مرضية من البداية. وتقول البنت إنها تعلمـت من جدتها الكثير والكثيـر مـن الكلمـات (وكانـت جدتي دائمـة سـعيدة) لذلك كانت البنـت تتمنـى اصطيـاد الكلمـات الضائعـة مـن جدتهـا كـي تعيدها إليها، لتعود الابتسـامة إلى الجدة. لكـن الأمـر يصعـب عـلى البنـت؛ فالجـدة أصبحت تناديها باسـم غير اسـمها. وهنـا تضعنـا القصة في مشـكلة أخـرى، لذلك تذهـب إلى والدها لتسـأله، وهذا تصرف رائع حين ترسـخ القصة مبدأ استشـارة الصغيـر للكبيـر عندمـا يعجـز عن الحـل.. تقـول: (ذهبت إلـى والديّ أسـألهما: لمـاذا تضيـع الأسـماء مـن جدتـي؟) فيـرد والدهـا عـلى سـؤالها ويفسـر ما يحـدث للجدة (فقـال لـي: كل المخلوقـات هكذا كلمـا تقدمـت فـي السـن ضاعت منها أشـياء؛ فقطتك المشمشية يضيع لونهـا البراق، وشـجرتك في الحديقة ستتسـاقط منها الأوراق، والفُوتيه الذي تجلسـين عليه ينحل نسيج قماشـه ويتمزق، وفستانك الأزرق الفيـروزي سـتضيع منـه الأزرار.. هكـذا هـي الحيـاة) وهنا إبـداع، ودرس رائـع، ونقطة قوية فـي القصـة مـن تفهيـم وتبصيـر الطفل؛ ليـس بطبيعة المشـكلة فقـط لكن بطبيعـة الحيـاة عامة، وحيـن فهمـت البنـت الحكايـة وحكايـة الحيـاة قالـت: (والآن صـار غيـر مهـم عنـدي أن تناديني جدتـي بسـعاد أو ياسـمين، وحين تضيـع منها كلمـة أنظر إلـى حركة يدهـا لأعـرف الكلمة التـي هربت منهـا، وحيـن أقـول الكلمـة التي

تريدها تفرح كثيرًا وكنت أفرح لفرحها) .. ببراعة؛ يحوّل الكاتب إيجاد الكلمات الضائعة إلى لعبة التخمين، وهو شيء جميل يحبه الأطفال، فتقول البنت: (تعلمت لعبة التخمين مع جدتي، صرت بارعة فيها، ولم تعد تتضايق حين تضيع منها الكلمات؛ لأنني أحضرها لها بسرعةٍ).

وينهي الكاتب القصة بفقرة رائعة تعبّر فيها البنت عن سعادتها لأنها تساعد جدتها وتحضر لها الكلمات التي ضاعت منها. والجميل أن تعترف البنت بأن الجدة هي التي علمتها وأعطتها الكثير والكثير من الكلمات قبل ذلك. والأروع أيضًا أن البنت تعرف أن هذه الكلمات عندما تقدمها لجدتها لا تنقص من عند البنت، وهذا درس جميل مفاده أن إسعاد الآخرين لن ينقص من سعادتك. وقد عبّر الكاتب عن كل ما سبق بفقرة رائعة أنهى بها قصته، وجاءت على لسان البنت: (أنا سعيدة لأنني أساعد جدتي؛ أحضر لها الكلمات التي ضاعت منها، وأعرف أنها السبب في أنني أعرف هذه الكلمة، فهي التي علمتني وأعطتني الكثير والكثير من الكلمات، وأنا الآن أردها إليها، ولا تنقص من عندي في الوقت نفسه).

هذه القصة تعد من الروائع التي تعرضت لمشكلة مهمة تحدث لكبار السن في الأسرة، وكيف تم اكتشاف المشكلة والتعريف بها وإيجاد بعض الحلول البسيطة لها، ثم إيجاد الحلول الرائعة.

كل ذلك من خلال سرد رائع ومشوق، ومن خلال بطلة القصة البنت الصغيرة التي أبدعت القصة في رسم شخصياتها علاوة على الدروس الكثيرة التي احتوتها القصة في ثناياها، وكل ذلك بكلمات بسيطة تناسب المستوى العمري للطفل.

هل تعلم أنّ..

لم تنسَ القصة أن تقدم في نهايتها بعض الأنشطة والمهارات، وبعض النصائح في التعامل مع الأشخاص كثيري النسيان من خلال عنوان «هل تعلم أن» وتبيّن أن الأسلوب الأفضل لمعاملة الأشخاص كثيري النسيان هو: الإنصات لهم، واستخدام الكلمات اللطيفة والابتعاد عن الكلمات الجارحة التي تجرح مشاعرهم، وخلق بيئة هادئة لهم، وإبعادهم عن الضجيج والتوتر ومساعدتهم عند محاولتهم إيجاد كلمات معينة عن طريق إعطائهم خيارات، أو اقتراح كلمات عليهم، أو إعطائهم ورقة وقلماً لكي يكتبوها.

ما أحوجنا إلى هذا النوع من القصص، الذي ينمي ثقافة الطفل نحو التعايش مع متطلبات الحياة، ويجعل الطفل مؤثراً في محيطه الأسري والاجتماعي.